تفسير سورة
الطارق

سُورَةُ الطَّارِقِ

مكية (ترتيبها ٨٦) (آياتها ١٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ
دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

[بسم الله الرحمٰن الرحيم]
سورة الطارق

قوله عز وجل: ﴿والسَّماءِ والطارِق. وما أدراك ما الطارِقُ. النَّجمُ الثاقِبُ﴾ ﴿١﴾ ـ ﴿٣﴾ ﴿والسماء﴾ قسم، ثم هل هو قسم بنفس السماء لأنها خلق عظيم يدل على عظيم قدرة خالقها، لقوله عزّ وجلّ: ﴿لَخَلْق السمواتِ والأرض أكبرُ من خلق الناس﴾[1] أو قسم بربّ السماء على تقدير حذف المضاف، فيه قولان[2]، أما ﴿الطارق﴾ فقد فسّره الله عزّ وجلّ بـ ﴿النجم الثاقب﴾ سُمّي طارقاً لطروقه ليلاً: أي خروجه وظهوره، ومنه قول هند بنت عتبة يوم أحد:

نحن بناتُ طارِقْ نمشي على النّمارِقْ[3]

﴿وما أدراك﴾ صيغة استفهام معناه: إما التعظيم، أي هذا المقسم به لا تدريه حتى يعلمك به، أو التنبيه على أمرٍ خفيّ، أي هذا المقسم به مع ظهوره خفيّ لا بدّ من التنبيه عليه ليجمع

---

(١) سورة غافر: الآية ٥٧.

(٢) ينظر إعراب ثلاثين سورة ٣٧.

(٣) إعراب ثلاثين سورة ٣٨، القرطبي ٢٠/٢، والمغني ٤٣٣، وشرح شواهد المغني ٢/٨٠٩.

بين اسمه ومسمّاه. ﴿النجم﴾ سُمِّي نجماً لنجومه: أي ظهوره، يقال: نجم القرن والنبت: إذا طلعا وظهرا. ﴿والثاقب﴾ المضيء جداً، يقال ثقب يثقُب، إذا أضاء، ويقال: إن المراد بالثاقب هنا نجم في السماء السابعة يثقب ويخرق نوره السموات كلّها. ﴿والنجم﴾ خبر مبتدأ محذوف: أي هو النجم الثاقب.

قوله عزّ وجل: ﴿إنْ كلّ نَفْسٍ لما عليها حافظ﴾ ﴿٤﴾ في تقديره وجهان: أحدهما: أنّ ﴿إن﴾ بمعنى «ما» النافية، و﴿لما﴾ بمعنى «إلّا»[1]، أي: ما كلّ نفسٍ إلّا عليها حافظ، وهو تقدير الكوفيين. **والثاني**: أن ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة، وفيها ضمير شأن مقدر، واللام في جوابها فارقة بينها وبين النافية[2]، و«ما» المتصلة بها خفيفة صلة، والتقدير: إنّه كل نفس لعليها حافظ[3].

وفي الحافظ احتملان: **أحدهما**: أنه الله عز وجل: بدليل قوله عز وجل: ﴿أفَمَنْ هو قائم على كلّ نفس بما كَسَبَتْ﴾[4]، **والثاني**: إنه الحفظة من الملائكة: بدليل قول الله عز وجل: ﴿ويُرسِلُ عليكم حَفَظَة﴾[5]، ﴿وإنّ عليكم لحافظين﴾[6].

---

(١) هذه على قراءة تشديد ﴿لمّا﴾.

(٢) هذه على قراءة ﴿لما﴾ بالتخفيف.

(٣) في الآية قراءتان سبعيّتان، بتخفيف (لما) وتشديدها. ينظر إعراب ثلاثين سورة ٤١، ٤٢، والكشف ٢/٢١٥، والعكبري ٢/٢٨٥، والدر المصون ٦/٣٩٦ وما بعدها.

(٤) سورة الرعد: الآية ٣٣.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٦١.

(٦) سورة الانفطار: الآية ١٠.

قوله عز وجل: ﴿فلينظر الإنسانُ مِمَّ خُلق﴾ ﴿٥﴾ أمر للإنسان، بالنظر في تحصيل الإيمان بمعاده قياساً على ما ابتدأه، أي كما خُلق من ماء دافق ولم يكن شيئاً، كذلك هو على رجعه قادر بعد أن لا يكون شيئاً. والنظر واجب في جميع متعلّقات الإيمان، نحو قوله عز وجل: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾[1] ونحوها من الآيات. وقوله عزّ وجلّ: ﴿ممّ﴾ أصله ممّا، ونظيره ﴿عمّ يتساءلون﴾[2]، و﴿لِمَ تقولون ما لاتفعلون﴾[3] و﴿فيم كنتم﴾[4] وعلام، وإلام، وحتّام، ونحوها.

قوله عز وجل: ﴿خُلق من ماءٍ دافق﴾ ﴿٦﴾ يعني المنيّ، هو مبدأه ومادته، ونظيره: ﴿ألم نَخْلُقكم من ماء مّهين﴾[5] يعني الماء الدافق: وهو الخارج بشدة، ويقال: إنّه بمعنى مدفوق، وعكسه ﴿حجاباً مستوراً﴾[6] يعني ساتراً.

﴿يخرج[7] من بين الصُّلْب والتَّرائِب﴾ ﴿٧﴾ يعني: صلب الذكر وترائب الأنثى، جمع تريبة، والمراد صدرها، ولعل الترائب أعضاء خاصة في الصدور وهو يعمها، كالمفاصل والأصابع يعمها الكفّ. وقال امرؤ القيس:

---

(١) سورة يونس: الآية ١٠١.
(٢) فاتحة سور النبأ.
(٣) سورة الصف: الآية ٢.
(٤) سورة النساء: الآية ٩٧.
(٥) سورة المرسلات: الآية ٢٠.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٤٥.
(٧) (يخرج) ليست في المخطوطة.

مهفهفةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضَةٍ ترائِبُها مَصْقولَةٌ كالسَّجَنْجَل[1]

قوله عز وجل: ﴿**إنّه على رجعه لقادرٌ. يوم تُبلى السرائر**﴾ ﴿٨﴾، ﴿٩﴾ في الضمير في ﴿إنه﴾ قولان: **أحدهما**: يرجع إلى الله عز وجل، لظهور أنّه المراد وإن لم يجر للفظه ذكر. **والثاني**: أنه يرجع إلى الحافظ، على القول بأنه الله عز وجل، أو إلى رب السماء والطارق على القول بأنه مضاف محذوف. ﴿على رجعه﴾ أي على إعادته حيّاً بعد الموت. يقال: رجعه يرجعه رجعاً بمعنى أعاده يعيده إعادة ﴿لقادر﴾ اللام مؤكّدة في جواب ﴿إنّ﴾. ﴿يوم تُبْلَى السَّرائِرُ﴾ أي يوم تختبر السرائر فتظهر. والبلاء: الاختبار، نحو: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم حتى نَعْلَمَ المجاهدين﴾[2] ﴿ونبلوكم بالشرّ والخير فِتنة﴾[3] أي نختبركم بالشرّ لتصبروا، وبالخير لتشكروا و﴿السرائر﴾ جمع سريرة: وهو الأمر الباطن، فتظهر بين يدي الله عز وجل يوم القيامة بواطن الأمور التي كانت تُسَرّ في الدنيا. أما قوله عز وجل: ﴿يوم تُبلى السرائر﴾ فبماذا يتعلّق ـ أعني الظرف ـ فالظاهر أنّه يتعلّق بـ﴿قادر﴾ وقيل: يتعلّق بمحذوف، تقديره: يرجعه يوم تُبلى السرائر[4]. وحمل هذا القائل على هذا القول أن تعليقه بـ﴿قادر﴾ يفهم منه اختصاص القدرة على الرجع بيوم تُبلى السرائر، وليس كذلك، بل القدرة على الإعادة والرجع عامة في

---

(١) وهو من معلقته. ديوانه ١٥. والسجنجل: المرآة.

(٢) سورة محمد: الآية ٣١.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.

(٤) ينظر المشكل ٢/٤٦٩، والعكبري ٢/٢٨٥، والبحر ٨/٤٥٥، والدر المصون ٢١٢ ب.

كل يوم ووقت وزمان. والجواب عن هذا أن الكلام خرج مخرج ما ورد على سبب، فلا اعتبار بمفهومه، وذلك لأن تعبّدهم إنما كان بالإيمان بالرجع في هذا اليوم، وإنكار الكفار إنما وقع لذلك، وهم لم يتعبّدوا بالإعادة في الدنيا، والله عزّ وجلّ إنّما أثبت قدرته على ما أنكروه من الرجع في ذلك اليوم، فجرى ذلك مجرى ما ورد على سبب، أو في جواب سؤال، نحو ﴿وربائبُكم اللاتي في حُجوركم﴾[1]، ﴿وإنْ خِفْتُم شِقاقَ بينهما فابعثوا﴾[2] وأشباه ذلك.

قوله عز وجل: ﴿**فما له من قوّةٍ ولا ناصر**﴾ ﴿١٠﴾ يعني الإنسان، يوم يرجعه الله عز وجل إليه يكون ضعيفاً ليس له قوة ولا ناصر، وكذلك هو في الدنيا في الحقيقة، وإنما اختصّ الإخبار بضعفه بذلك اليوم إمّا لأنّه من باب ما لا مفهوم له كما سبق في تعلّق ﴿يومَ تُبلى السرائر﴾ بـ﴿قادر﴾، أو لأن بعض الحمقى تظنّ أن له في الدنيا قوة وناصراً، فخرج هذا المفهوم على زعمه.

واعلم أن هذه القسمة في غاية الحسن والحصر، لأن الإنسان في العادة إذا توجّه إليه مكروه فإنّما يدفعه عنه بقوة تكون له كالشجاعة، أو تناصر يساعده على دفع ذلك المكروه، والإنسان يومئذ ليس له واحد منهما، وفي معنى هذا ما حكي أن أبا جعفر لما ظفر بأبي مسلم وأمر أعوانه فضربوه بالسيوف صاح: وانفساه،

---

(١) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٥.

ألا قوة، ألا مغيث[1]، وهو معنى قوله عز وجل: ﴿فما له من قوّةٍ ولا ناصر﴾.

قوله: ﴿والسّماءِ ذات الرَّجْع﴾ ﴿١١﴾ هذا قسم ثان، و﴿الرجع﴾ يحتمل أنه المطر، لأنّه يرجع عن السماء، ويحتمل أن ذلك [لرجوعها][2] لأنّها تبدّل يوم القيامة فيرجع بدلها مكانها، ويحتمل غير ذلك.

﴿والأرضِ ذاتِ الصدعِ﴾ ﴿١٢﴾ يعني الانفطار بزلازل الساعة ﴿وإذا الأرضُ مُدّتْ. وألْقَتْ ما فيها وتخلَّتْ﴾[3].

قوله عزّ وجلّ: ﴿إنّه لقولٌ فَصْلٌ. وما هو بالهَزْل﴾ ﴿١٣﴾، ﴿١٤﴾ الضمير في ﴿إنّه﴾ يحتمل رجوعه إلى القرآن من هذه السورة وغيرها، ويحتمل رجوعه إلى البعث المخبر به ها هنا. و(القول الفصل) القاطع الفاصل للشكّ، والمراد الجد، ولهذا قابله بنفي الهزل.

قوله عز وجل: ﴿إنّهم﴾ يعني الكفّار ﴿يكيدون كيداً. وأكيدُ كَيْدا﴾ ﴿١٥﴾، ﴿١٦﴾ يمكرون مكراً، وأمكر مكراً، نحو: ﴿ومكروا مَكراً ومَكَرْنا مَكْراً﴾[4] والكيد والمكر سيّان، وهو النكاية بأسباب خفيّة، وهو الاستدراج أيضاً، والمعنى: إن مكر الله يغلب مكرهم

---

(١) ينظر أخبار أبي مسلم الخراساني، وقصته مع أبي جعفر المنصور في سير أعلام النبلاء ٤٨/٦، وما بعدها. وينظر ص ٦٥، ٧٠.

(٢) تكملة من المحقق.

(٣) سورة الانشقاق: الآيتان ٢، ٣.

(٤) سورة النمل: الآية ٥٠.

﴿ويمكرون ويمكرُ اللَّهُ واللَّهُ خيرُ الماكرين﴾[1]، ﴿وقد مَكَرُوا مَكْرَهم وعندَ اللَّهِ مكرُهم وإن كان مكرُهم لتزولَ منه الجبال﴾[2].

قوله عز وجل: ﴿فَمَهِّلِ الكافرينَ أَمْهِلْهم رُوَيداً﴾ ﴿١٧﴾ أي فسوف ينتقم الله عز وجل منهم، والإمهال: التأخير، مثل: ﴿ذَرْهم يأكلوا ويتمتّعوا﴾[3]، ﴿فَذَرْهم في غمرتهم حتى حين﴾[4] و﴿رويداً﴾ صفة مصدر محذوف: أي أمهلهم إمهالاً رويداً: أي ليّناً سهلاً، ويحتمل أن يكون حالاً من الفاعل أو المفعول، أي أمهلهم مروِّداً لهم، أو مروَّدين: أي أمهلهم رافقاً بهم، أو مرفوقاً بهم، أو غير معنِّف بهم، أو غير معنَّفين، أو أَمْهِلْهم منتظراً لهم، أو منتظرين[5]، يشهد لذلك ﴿فأعْرِض عنهم وانتَظِرْ إنّهم منتظرون﴾[6].

* * *

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٠.
(٢) سورة إبراهيم: الآية ٤٦.
(٣) سورة الحجر: الآية ٥.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ٥٤.
(٥) القول الأول فقط في العكبري ٢/٢٨٥، والبحر ٨/٤٥٦، والدر المصون ٢١٢ ب.
(٦) سورة السجدة: الآية ٣٠.

المَـراجع

* القرآن الكريم.

* إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ـ للدمياطي البنا ـ القاهرة: مطبعة عبدالحميد حنفي ١٣٥٩ هـ.

* إصلاح المنطق ـ لابن السكيت ـ تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ـ القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٤٩ م.

* إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ـ لابن خالويه ـ القاهرة: دار الكتب المصرية ١٣٦٠ هـ.

* إملاء ما مَنّ به الرحمٰن (التبيان) ـ للعكبري ـ مكة المكرمة: دار الباز ١٣٩٩ هـ.

* البحر المحيط ـ لأبي حيان ـ القاهرة: مطبعة السعادة ١٣٢٨ هـ.

* بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ـ للكاساني ـ القاهرة: شركة المطبوعات العلمية ١٣٢٨ هـ.

* تاريخ الأدب العربي ـ كارل بروكلمان ـ الأصل الألماني ـ ليدن: بريل ١٩٤٣ م.

* تفسير غريب القرآن ـ لابن قتيبة ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ مصورة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٨ هـ.

* تفسير القرآن الكريم (جامع البيان) ـ للطبري ـ القاهرة: مطبعة الحلبي ١٩٥٤ م.

* تفسير القرآن الكريم (الجامع لأحكام القرآن) ـ للقرطبي ـ القاهرة: دار الكاتب العربي ٩٦٧ م.

* خزانة الأدب ـ للبغدادي ـ القاهرة: مطبعة بولاق ١٢٩٩ هـ.

* الخصائص ـ لابن جني ـ تحقيق محمد علي النجار ـ القاهرة: دار الكتب المصرية ١٩٥٢ م.

* الدر المصون ـ للسمين الحلبي ـ (الجزء السادس) تحقيق د. أحمد خراط ـ دمشق: دار العلم ١٤٠٦ هـ. ونسخة مخطوطة ـ جامعة الإمام رقم ١٧٧٦.

* الدر المنثور ـ للسيوطي ـ القاهرة: المطبعة الميمنية ١٣١٤ هـ.

* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ لابن حجر العسقلاني ـ تحقيق محمد سيد جاد الحقّ ـ القاهرة: دار الكتب الحديثة ١٣٨٥ هـ.

* ديوان الأعشى ـ تحقيق د. محمد محمد حسين ـ بيروت: المكتب الشرقي ١٣٨٨ هـ.

* ديوان امرىء القيس ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة: دار المعارف ١٩٥٨ م.

* ديوان حسان بن ثابت ـ تحقيق سيد حنفي حسنين ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م.

* ديوان عبيد بن الأبرص ـ تحقيق د. حسين نصار ـ القاهرة: مطبعة الحلبي ١٩٥٧ م.

* ديوان العجّاج ـ تحقيق د. عزة حسن ـ بيروت: دار الشروق ١٩٧١ م.

* ديوان العرجي ـ تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي ـ بغداد: الشركة الإسلامية ١٣٧٥ هـ.

* ديوان عنترة ـ تحقيق محمد سعيد مولوي ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٩٠ هـ.

* ديوان كعب بن مالك ـ تحقيق د. سامي مكي العاني ـ بغداد: مكتبة النهضة ١٩٦٦ م.

* ديوان لبيد ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ الكويت: وزارة الإعلام ١٩٦٢ م.

* الذيل على طبقات الحنابلة ـ لابن رجب ـ تحقيق محمد حامد الفقي ـ القاهرة: مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٢ م.

* السبعة ـ لابن مجاهد ـ تحقيق د. شوقي ضيف ـ القاهرة: دار المعارف ١٩٨٠ م.

* سنن الترمذي ـ تحقيق عزت الدعاس ـ حمص: دار الدعوة ١٣٨٥ هـ.

* سنن ابن ماجه ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ القاهرة: مكتبة الحلبي ١٩٥٢ م.

* سير أعلام النبلاء، للذهبي ـ تحقيق مجموعة ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠١ هـ وما بعدها.

* شرح شواهد الشافية ـ لابن الحاجب (الجزء الرابع من شرح الشافية) ـ تحقيق محمد نور الحسن وزميله ـ القاهرة: مطبعة حجازي ١٣٥٦ هـ.

* شرح شواهد المغني ـ للسيوطي ـ تحقيق أحمد ظافر كوجان ـ دمشق: لجنة التراث العربي ١٩٦٦ م.

* شرح مختصر الروضة ـ للطوفي ـ (المقدمة) تحقيق د. إبراهيم بن عبدالله آل إبراهيم ـ الرياض: ١٤٠٩ هـ.
وتحقيق د. عبدالله التركي ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٠ هـ.

* شرح المفصل ـ لابن يعيش ـ القاهرة: المطبعة المنيرية.

* الشعر والشعراء ـ لابن قتيبة ـ تحقيق محمود شاكر ـ القاهرة: دار المعارف ١٩٦٤ م.

* صحيح البخاري = فتح الباري.
* صحيح مسلم ـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ـ القاهرة: مكتبة الحلبي.
* ضعيف الجامع الصغير للسيوطي ـ لمحمد ناصر الدين الألباني ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٩٩ هـ.
* الطبري = تفسير القرآن الكريم.
* الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ بيروت: دار صادر.
* العكبري = إملاء ما منّ به الرحمٰن.
* فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ لابن حجر ـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ـ القاهرة: المكتبة السلفية.
* الفراء = معاني القرآن.
* فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ للمناوي ـ القاهرة: مطبعة مصطفى محمد ١٣٥٦ هـ.
* القاموس المحيط ـ للفيروزأبادي ـ القاهرة: المطبعة المصرية ١٩٣٥ م.
* القرطبي = تفسير القرآن الكريم.
* الكتاب ـ لسيبويه ـ القاهرة: بولاق ١٣١٦ هـ.
* كشف الخفاء ومزيل الإلباس ـ للعجلوني ـ حلب: دار التراث الإسلامي.
* الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ـ لمكي بن أبي طالب ـ تحقيق د. محيي الدين رمضان ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٨١ م.
* المسند ـ للإمام أحمد ـ بيروت: المكتب الإسلامي ١٩٦٩ م.
* مشكل إعراب القرآن الكريم ـ لمكي بن أبي طالب ـ تحقيق ياسين السواس ـ دمشق: دار المأمون للتراث.
* المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي ـ د. مصطفى زيد ـ القاهر دار الفكر العربي ١٣٨٤ هـ ـ الطبعة الثانية.

* معاني القرآن ـ للفراء ـ تحقيق محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي ـ القاهرة: دار الكتب المصرية ١٩٥٥ م.

* مغني اللبيب ـ لابن هشام ـ تحقيق د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله ـ دمشق: دار الفكر ١٩٦٩ م.

* مقاييس اللغة ـ لابن فارس ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ القاهرة: مطبعة الحلبي ١٣٩١ هـ.

* المقتضب ـ للمبرد ـ تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ـ القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٦ هـ.

* النهاية ـ لابن الأثير ـ تحقيق د. محمد الطناحي، وطاهر الزاوي ـ القاهرة: مطبعة الحلبي ١٩٦٢ م.

* * *